قالت العرب

الزمن الأحمر يا ولدي / وعجاف البقر الأبيض يا بن أبي يأكل كل
حقول الأرض / فكل الكون على عزف الزمن الأحمر يحتضر / يابن أبي
هذا غيض من فيض / سيفنى الناس / ويفنى الوسواس الخناس ولكن
مافي الجبة أحد

المشهد

العدد 328 – السنة الثانية عشرة- الأحد 12 مارس 2023م – 20 شعبان 1444هـ

«طه حسين» ومعركة الحديث النبوى

«أضواء على السنة المحمدية» لمحمود أبو رية فتح نيرانا على مؤلفه ورماه الشيخ عبدالحليم محمود بالفسق

الطلقة المدويّة فى النزاع الفكرى حول الحديث النبوى بدأت مع صدور كتاب «أضواء على السنة المحمدية» عن دار المعارف بمصر فى ٧ ديسمبر ١٩٥٧م حسب التاريخ الذى ذُيلت به مقدمة الكتاب. ثم توالت طبعاته الكثيرة فى القاهرة وبيروت وصولا إلى الطبعة الخامسة الصادرة عن «دار المعارف» سنة ١٩٨٠م.

الكتاب من تأليف شيخ أزهرى مجدد هو الأستاذ «محمود أبورية» (١٨٨٩ – ١٩٧٠م) وقد تسبب صدوره فى سنة ١٩٥٨ – حسب وصف المفكر الإسلامى جمال البنا – فى ثورة حقيقية وغيظ وعاطفة عدائية حادة. وفى ظل هذه الأجواء الدينية والفكرية المشحونة صدرت عدة كتب للرد على كتاب أبورية كان منها:

عميد الأدب العربى دحض رأى الأزهر فى الكتاب وقال أنه موافق للدين كل الموافقة لا يخالفه ولا ينبو عنه فى شىء مطلقا

فى ديسمبر 1981 صدر أمر ضبط وتحفظ على كتاب «فقه اللغة العربية» تمهيدا لحرقة فى حضور مندوب الأزهر والداخلية ومؤلفه د.«لويس عوض»!

«دفاع عن الحديث النبوي» للشيوخ محب الدين الخطيب وسليمان الندوى ومصطفى السباعى ، «دفاع عن السنة النبوية» للشيخ محمد محمد أبو شهبة ، «أبوهريرة راوية الإسلام» للشيخ محمد عجاج الخطيب ، «ظلمات أبى رية أمام أضواء السنة المحمدية» للشيخ محمد عبدالرازق حمزة ، «الأنوار الكاشفة لما فى كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة» للشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمى اليماني، «السنة فى مكانها وفى تاريخها» للدكتور عبدالحليم محمود، و...غيرها!.

اللافت أن الطبعة الأولى من كتاب أبى رية تصدرتها مقدمة بقلم د. «طه حسين» وبنبرته الهادئة الرصينة جاء فيها : «هذا كتاب بذل فيه مؤلفه من الجهد ما لا يبذل مثله إلا الأقلون. والذين يقرأون هذا الكتاب قراءة المتدبر المتأنى سيلاحظون مقدار هذا الجهد العنيف الذى مكن المؤلف من أن يصبر نفسه السنين الطوال على قراءة طائفة ضخمة من الكتب التى لا يكاد الباحثون يطيلون النظر فيها ، لكثرة ما يتعرضون له من كثرة الأسانيد وتكرارها وتعدد الروايات واضطرابها..».

رغم رصانة وهدوء المقدمة كان العميد طه حسين – على الأغلب – يتوقع أن يثير الكتاب عاصفة فكرية لا تقل شراسة عن العاصفة التى أثارها كتابه «فى الشعر الجاهلي» سنة ١٩٢٦م. لكنه كان يتوقع – على الأغلب كذلك – أن المناخ الفكرى فى مصر صار فى النصف الثانى من القرن العشرين أكثر استنارة وتقبلا لطروحات التجديد الديني، كالأطروحة التى اضطلع بتقديمها كتاب الشيخ المجدد على أكمل وجه.

صدق توقع العميد فلم يترتب على النزاع الفكرى الذى أثاره كتاب «الأضواء» غير أقل ما ترتب على صدور كتاب «الشعر الجاهلي» من عواصف وأنواء. فوق ذلك لم يؤذ الشيخ أبورية من جراء صدور كتابه بأية طريقة مادية، بعكس ما أوذى به طه حسين بعد صدور كتابه سنة ١٩٢٦، فلم يقدم للقضاء مثل ما قدم هو وقتها.

كانت أرصدة المناخ الفكرى المنفتح فى مصر، والذى كان طه حسين من صنّاعه العظام، لا تزال قوية وفاعلة فى ذاك الوقت، رغم أنها كانت – كذلك – فى طريقها إلى التلاشي. لكن مقدمة طه حسين لكتاب الشيخ أبورية فى حد ذاتها كانت إعلانا عن حضور هذا الرصيد الهائل من حرية الفكر الذى ناله العقل المصرى عبر كفاح تنويرى طويل آتى أطيب ثماره مع ثورة ١٩١٩م وامتد حتى نهاية عقد الخمسينات.

مصادرة وزارة الثقافة

"وإنى لأتوجه بعملى هذا – بعد الله سبحانه وله العزة – إلى المثقفين من المسلمين خاصة ، وإلى المهتمين بالدراسات الإسلامية عامة ، ذلك بأن هؤلاء وهؤلاء هم الذين يعرفون قيمته ويدركون قدره".

بهذه الكلمات من مقدمة كتاب "أضواء على السنة المحمدية" حرص المؤلف على لفت نظر العلماء والأدباء الذين لم يولوا الحديث النبوى ما يستحق من العناية والدرس و.."تركوا أمره لمن وقفوا بعلمهم عند ما يتصل بالسند فحسب ، أما المعنى فلا يعنيهم من أمره شيء".

كان واضحا أن الأزهريين هم المقصودون بمن ترك لهم أمر الحديث النبوى ، وهى عبارة يُشتف منها الطبيعة الحادة للسجالات المقترنة بالموضوع ، وهى سجالات ظلت مقموعة لعقود ممتدة ، تعود لبداية المشروع الإصلاحى للأستاذ الإمام محمد عبده (١٨٤٩–١٩٠٥م) ، لكنها لم تخرج إلى العلن بقوة إلا بنشر الكتاب سنة ١٩٥٨م.

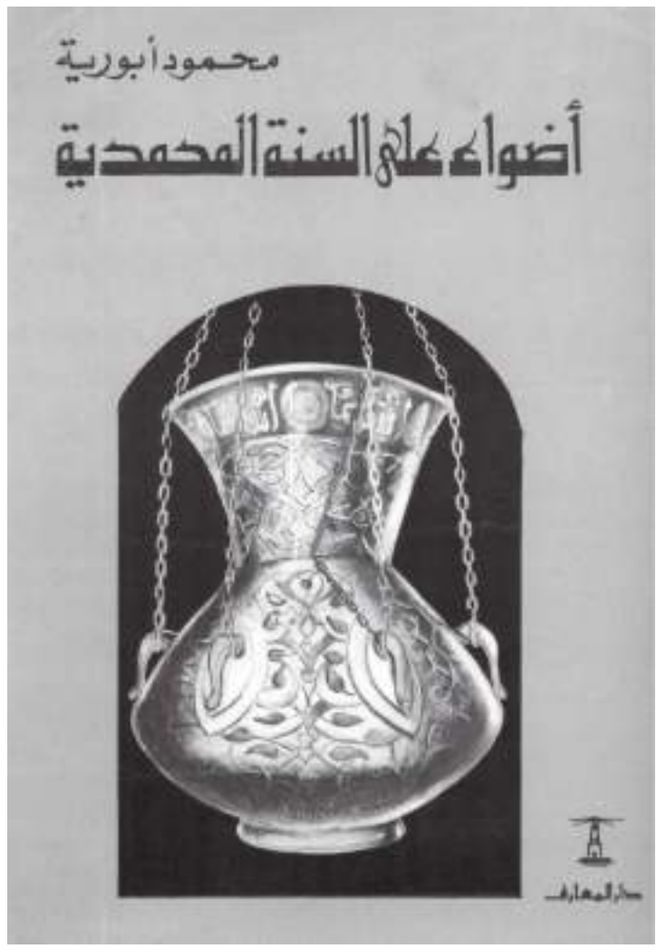

في رسالة أرسلها أبورية إلى عالم الدين الشيعى مرتضى الرضوى (١٩٢٩–) تتكشف بصورة أوضح طبيعة هذا النزاع العنيف المقموع. الرسالة مؤرخة بتاريخ ١٠/٢٦/ ١٩٦٩، أى بعد إصدار كتاب "الأضواء" بأكثر من عشر سنوات ، وتتحدث عن كتاب جديد للكاتب بعنوان "قصة الحديث المحمدي" ، وهو عبارة عن ملخص لكتابه الأول قالت عنه الرسالة:

"للحقيقة والتاريخ كان من حق هذا الكتاب "قصة الحديث المحمدي" أن يخرج إلى الناس مطبوعا منذ أكثر من عشر سنين ، ذلك بأن وزارة الثقافة المصرية كانت قد طلبت منا مختصرا لكتابنا: "أضواء على السنة المحمدية" عندما ظهرت طبعته الأولى فى سنة ١٩٥٨م لتجعله حلقة فى سلسلة مكتبتها الثقافية ، وقبل نشره عرضته على الأزهر ليبدى رأيه فيه ، وما كاد يقف عليه حتى أرصد له من كيده ، فرماه بأن فيه ما يخالف الدين وطلب عدم نشره وتداوله بين المسلمين، ولم تستطع الوزارة أن تخالف عن أمره ، لأن ما يربطه الأزهر على الأرض يكون مربوطا فى السماء (..)، وظل هذا الكيد يلاحق الكتاب هذه السنين الطويلة لكى يحول دون نشره بين الناس ، إلى أن علم أخيرا بالأمر نصير الدين والفكر الدكتور طه حسين، فطلب أصول الكتاب من وزارة الثقافة ، ولما اطلع عليه أعاده علينا مع خطاب ، دحض فيه ما رماه الأزهر به. وصرح فى جلاء أنه موافق للدين كل الموافقة ، لا يخالفه ولا ينبو عنه فى شئ مطلقا. وأنه مفيد فائدة كبيرة جدا فى علم الحديث. وأن فى نشره الخير كل الخير، والنفع كل النفع. وبذلك انحسم الأمر، وحصحص الحق، واتخذ الكتاب سبيله إلى الناس مطبوعا لينتفعوا به. ولأهمية خطاب الدكتور طه حسين نشرنا صورته على غلاف الكتاب، تبصرة لأولى الألباب".

نزاع دينى عنيف

فى نفس الرسالة يلخص أبو رية وقائع نزاعات عنيفة دارت على مدار عشر سنوات تلت إصدار كتابه بقوله: "وليتك تسلم من ألسنتهم، بل يرمونك بشتائمهم ، وسبابهم ، ويسلقونك بألسنتهم ، وقد بلوت ذلك منهم عندما أخرجت كتابي: "أضواء على السنة المحمدية" الذى أرخت فيه الحديث ، وكشفت كيف روى وما شابه رواية من الموضوعات ومتى دون ، وما إلى ذلك ما يجب بيانه – فإنهم ما كادوا يقرأونه حتى هبت على أعاصير الشتائم والسباب من كل ناحية ، من مصر والحجاز والشام! فلم أبال كل ذلك بل أستعذ به لأنى على سبيل الحق أسير ، فلا يهمنى شئ يلاقينى فى هذا السبيل مهما كان".

لعل أبرز تلك السجالات الشخصية التى أشار إليها أبو رية وأكثرها دلالة ، كان سجالا دار بينه وبين الشيخ "عبدالحليم محمود" (١٩١٠–١٩٧٨م) والذى سيصبح منذ سنة ١٩٧٣م – وهو عام رحيل طه حسين – الإمام الأكبر وشيخ الأزهر ، وسوف تشهد البلاد خلال مشيخته للأزهر صعود واحدة من أعنف موجات التشدد والتطرف والغلو الدينى فى تاريخ مصر والمنطقة ، ممثلة فيما سمى – آنئذ – بالصحوة الإسلامية.

يصف المجدد محمود أبورية السجال الحاد الذى نشب بينه وبين الشيخ عبدالحليم محمود بلهجة قارسة فى مقدمة كتابه عن الصحابى "أبى هريرة" الذى اشتهر بالإكثار فى رواية الحديث وعنوانه "شيخ المضيرة". ويقول إن الشيخ اتهمه بالطعن فى الدولة الأموية وهى أعظم دولة إسلامية ، وبأنه يحقد على أبى هريرة ويصطنع منهج الشيعة فى إيران ، وبأنه يحمل عقدة العقيدة الشيعية (!!) التى لا تبالى بحجة ومنطق وحقيقة.

ويضيف: "طعن فينا وفى ديننا – إذ رمانى الشيخ المسلم الصوفى بالفسق واستشهد على ذلك بآية من كتاب الله العزيز – كبرت كلمة تخرج من فيه – وكان عليه قبل أن يقترف هذا الاثم الكبير ، أن يذكر الحكمة المعروفة: إذا كان بيتك من زجاج فلا ترم الناس بالحجارة. ففى ذلك خير له. وفى هذا كفاية – ولا نزيد عليه!".

بلا تكفير ولا فتاوى إهدار دم كان "الفسق" هو التهمة الشنيعة التى جعلت الشيخ أبو رية يفكر فى اللجوء للقضاء: "بعد ذلك نقول إنه كان لنا أن نستعين بالقضاء على هذا الشيخ لكى نأخذ حقنا منه على ما طعن فى ديننا، ولكن منعنا من ذلك ما استفاض بين الناس من أنه قد غرق فى بحر التصوف! حتى أثر ذلك على حصاة عقله"!.

سخرية وتشنيع فى مواجهة اتهام بالفسق.. تلك هى ذروة ما وصل إليه النزاع الأزهرى واستدعى تفكيرا فى اللجوء للقضاء!. لكن.. من يعلم الغيب إلا الله؟!.

بعد ما يقارب العشر سنوات من ختام النزاع الأزهرى حول الحديث النبوى، سيتحول اللجوء للقضاء فى كل ما يمس الدين إلى عادة أزهرية صحوية متبعة ، ليس من أجل تجاوز لفظى أو شخصى فى حق كاتب او شيخ او مؤسسة ، بل من أجل مصادرة الكتب ومحاسبة المؤلفين والكتّاب على أرائهم المخالفة إذا ما مست قضايا التجديد الدينى من قريب أو من بعيد.

وهو ما حدث بالفعل فى ١٥ ديسمبر ١٩٨١ مع صدور أمر ضبط وتحفظ على كتاب "فقه اللغة العربية" تمهيدا لحرقة فى حضور مندوب من الأزهر ومندوب وزارة الداخلية و.. د."لويس عوض" مؤلف الكتاب!.

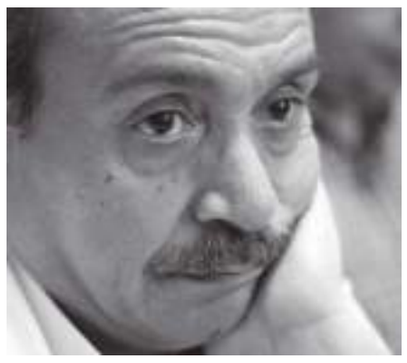

بقلم: عصام الزهيرى

تجربة «إيقاع ريثمو» والسلطة المطلقة

رفض الطعن على العقود الحكومية مدخل للاستبداد والفساد الحكومى

رؤية : هدى مكاوى

مارينا أبراموفيتش كاتبة وفنانة ومخرجة، اشتهرت بتجاربها المثيرة وقدرتها على إيصال القيم والافكار عبر تعابير وجهها وأدائها الجسدى ، ومن تلك التجارب المثيرة لها تجربة اطلقت عليها « إيقاع ريثمو» والتى حاولت فيها ان تثبت أن الحرية المطلقة قد تؤدى الى كشف الجانب المظلم من الانسان ، وقد أثبتت بالفعل أن جانبا مظلما ودنيئا جدا من النفس البشرية يجعل المرء له قابلية لإلحاق الأذى والضرر بالآخرين اذا أتيحت له الفرصة دون أى سبب مجد أو مقنع .

تذكرت تلك التجربة للكاتبة والمخرجة مارينا أبراموفيتش عندما أقرت المحكمة الدستورية المصرية قبل أسابيع رفض الطعن على العقود الحكومية وقصرها فقط على طرفى العقد وأصحاب المصلحة المباشرة ، وعدم احقية الشعب فى الطعن ضد تلك القرارات الحكومية ، وقد بررالمستشار محمود محمد غنيم نائب رئيس المحكمة فى بيان نشره موقع أكونومى بلس أن المحكمة استندت فى حكمها إلى أن الاقتصاد القومى مر بمرحلة دقيقة احتاج فيها الى العمل على جذب الاستثمارات الأجنبية وحجب كل ما يزعزع الثقة فى سلامة البناء الاقتصادى وضمان احترام الدولة لتعاقداته.

لاريب أن هذا القانون يشكل خطورة على البلاد فى حالة عدم مراقبة الحكومة وتعذر محاسبتها اذا تسببت فى أى خسارة لأنه بموجب ذلك القانون يصبح للحكومة السلطة المطلقة للتصرف فى مقدرات البلاد وبيع أصولها دون رقيب عليها خاصة اذا كان البرلمان مواليا لها ، مما يجعل الأمر نوعا من الاستبداد والاسنهتار بحقوق الشعب ووفقا لتعريف «عبد الرحمن الكواكبى» للاستبداد فهو كلغة غرور المرء برأيه والأنفة عن قبول النصيحة أو الاستقلال بالرأى ... الاستبداد هو أصل لكل فساد وله أثر ثابت فى كل واد والمستبد يتجاوز الحد ما لم ير حاجزا من حديد ، فلو رأى الظالم الى جنب المظلوم سيفا لما أقدم على الظلم .. وبالتالى نجد أن هذا القانون هو مدخل للاستبداد والفساد الحكومى وفقا لتعريف عبد الرحمن الكواكبى.

لقد وقفت المخرجة والفنانة صاحبة تجربة «ايقاع ريثمو» على مدى ست ساعات متواصلة أمام الجمهور دون حراك ووضعت فوق الطاولة أكثر من ٧٢ أداة (مقص أزهار – سكينا – مسدسا – ريشا – قطع شيكولاتة – رصاصا – سلاسل حديدية) ووضعت لافتة موجهة للجمهور بأنها الهدف افعلوا بى ما شئتم كما ورد فى دراسة للباحثة الجزائرية ريحان مرغم.

فى البداية كانت ردود أفعال الجمهور مسالمة تماما البعض وضع ورود بين يديها والبعض الأخر أطعمها قطع الشيكولاتة وهناك من قام بتقبيلها ، لكنه بعد مرور الوقت تغيرت ردود فعل هذا الجمهور لتصبح عنيفة فقد حمل أحد الاشخاص مقصا وبدأ فى قطع ملابسها ، وشخصا آخر حاول اغتصابها ومنهم من سبها وهناك من حمل سكينا وغرسها فى قطعة خشب بجوارها لارهابها ، وهناك من حاول قتلها بالمسدس .

وقد حدث كل هذا دون سابق معرفة بها ودون وجود أى دافع حقيقي . وبعد مرور ست ساعات مليئة بالرعب عاشتها صاحبة التجربة بدأت فى اتخاذ رد فعل معاكس بالتحرك والاعتراض ، فظهرت علامات التوتر والمفاجأة على الجمهور ليكتشفوا أن من كانت أمامهم ليست نكرة يمكنهم العبث بها بل هى شبيهة لهم ولايمكن التجاوز فى حقها فتوقفوا عن ايذائها.

ان ماحدث من رفض المحكمة الدستورية الطعن ضد القانون الصادر عام ٢٠١٣ فى عهد الرئيس الاسبق عدلى منصور بمثابة تحصين لعقود البيع من الملاحقة القانونية ، خاصة فى ظل برلمان مهادن للحكومة ولا يعمل لصالح الشعب ، بل لصالح المستثمرين بعد انخفاض سعر صرف الجنيه المصري ، وذلك بعد منح السلطة المطلقة للحكومة للتصرف فى مقدرات الشعب دون الرجوع اليه او منحه الحق فى الاعتراض على البيع.

ان مارينا إبراموفيش عندما وقفت طوال ال ٦ ساعات بلا حراك تاركة للجمهور مطلق الحرية فى مواجهتها ، ووضعت فى يده كل الادوات للتعامل معها ، كانت مثل الشعب المسلوب الارادة الآن ، اما الجكومة فهى مثل الجمهور الذى تعامل مع المخرجة» برفق فى البداية وأطعمها الحلوى وأهداها الورود والكلام المعسول ، ثم اعقب ذلك التعرض لصاحبة التجربة بالتعدى والانتهاك والتحرش ، وهو ما يحدث لنا الآن من بيع أصول البلاد بمنطلق هذا القانون المجحف ، والآن ترفض المحكمة الدستورية الطعن عليه من قبل الشعب المالك الحقيقى للأرض ، بعد أن أصبحنا شعبا هزيلا مسلوب الارادة منهك القوى يعانى لهيب الأسعار ، تباع مقدراته قطعة قطعة وهو بلا حراك ، وليس فى استطاعته حتى الاعتراض عبر القضاء.

انتهت مارينا ابراموفتش فى تجربتها إلى مدى تعارض الحرية المطلقة مع المسؤولية ، واوضحت انه فى لحظات الحرية المطلقة هناك قابلية النفس البشرية للشر وإلحاق الاذى بالآخرين . وأن الحرية المطلقة تتعارض مع الشعور بالمسؤولية وهو ما نحن بصدده ، فلابد من التصدى لقرار المحكمة الدستورية الأخير، فلايجب منح الحكومة السلطة المطلقة تحت أى ظرف مهما كان الهدف ، لأنها مفسدة يترتب عليها كوارث وخيمة .

أن كانت الكاتبة والمخرجة أثبتت فى تجربتها أن تغير حركتها ورد فعلها من حالة الاستسلام والخنوع على مدى ست ساعات الى الاعتراض والمقاومة ، جعل الجمهور يتوقف عن ايذائها وأشعرتهم بانها ليست نكرة ، يفعل الجمهور بها ما يشاء من إهانات وتحرش وإيذاء ، فهل نتحرك نحن أيضا ونثبت لأنفسنا أننا لسنا نكرة كما تصور البعض ، فمازلنا أحياء ولدينا قدرة على المقاومة ورفض الضعف والخنوع . وحسبى الله ونعم الوكيل.